

تفسير أبي السعود

259 - البقرة غلام يافع وغير يافع فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلّة وكان عزيز من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افطع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله عز وجل .
وهي خاويه على عروشها أي ساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو من خوت الأرض أي تهدمت والجمله حال من ضمير مر أو من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا .

قال أي تلهفا عليها وتشوقا إلى عمارتها مع استشعار اليأس عنها .
أنى يحيى هذه الآية وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المبينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث أن الاستبعاد ناشئ من جهتها لامن جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية إن كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل يحيى وإيا ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها الذين تفرقوا أي سباً ومن غيرهم وإنما عبر عنها بالإحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطاب وتأكيذا للاستبعاد كما أنه لأجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل .

بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ وجه وآكده أراه الآية D أثر ذي أثر أبعد الأمرين في نفسه ثم في غيره ثم أراه ما استبعده صريحا مبالغة في إراحة ما عسى يختلج في خلدّه وأما حمل إحيائها على إحياء أهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم تتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعايية المار لها كما ستحيط به خيرا .

فأما ته الآية وألبثه على الموت .

مائة عام روى أنه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها أحدا فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فأما ته الآية تعالى في منامه وهو شاب وأما حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره عنده ثم أعمى الآية تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الآية عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان ثلثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الآية تعالى بخت نصر ببعوضه دخلت دماغه ونجى الآية تعالى من بقي من بني إسرائيل وردهم إلى بيت المقدس وتراجع إليه من تفرق منهم في الأكناف فعمره ثلاثين سنة

وكثرُوا وكانُوا كأحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزيز أحياءه اﷻ تعالى وذلك قوله تعالى .

ثم بعثه وإيثاره على أحياءه للدلالة على سرعته وسهولة تأتية على البارئ تعالى كأنه بعثه من النوم للإيدان بأنه أعاده كهيئته يوم موته عاقلاً فاهماً مستعداً للنظر والاستدلال .

قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال .

كم لبثت ليظهر له عجرة عن الإحاطة بشؤنه تعالى وأن إحيائه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرّة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرًا طويلاً من غير تغيير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف أي كم وقتاً لبثت والقائل هو اﷻ تعالى أو ملكٌ مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت .

قال لبثت يوماً أو